مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية
ISSN:2716-8131

المجلد الأول العدد الثاني
أكتوبر 2020

منهجية الكتابة عند الطبري من خلال كتابه "تاريخ الأمم والملوك".

The methodology of writing for Al-Tabari through his book "History of Nations and Kings".

شريف عبدالقادر

أستاذ محاضر (أ) جامعة الجزائر 2.

البريد الالكتروني: cherifaek01@gmail.com

تاريخ الاستلام: 08/08/ 2020 تاريخ القبول: 06/09/ 2020 تاريخ النشر: 05/01/ 2021

الملخص:

هذا المقال هو محاولة للوقوف على شخصية هامة في التاريخ الإسلامي ألا وهي محمد بن جرير الطبري ،بالنظر إلى إسهاماته الكبيرة في كتابة التاريخ الإسلامي بموضوعية ،وفي مجالات متعددة بحكم واسع اطلاعه،وقد حاولت في هذه الورقة الوقوف على منهجه في كتابة كتابه تاريخ الأمم والملوك

كلمات مفتاحية: الطبري–منهجه–التاريخ الإسلامي–الحوليات.

Abstract:

This article is an attempt to find an important figure in Islamic history, namely Muhammad bin Jarir al-Tabari, in view of his great contributions in writing Islamic history objectively, and in various fields with a broad knowledge of him.

Keywords : Al-Tabari - his method - Islamic history – yearbooks

مقدمة:

إنّ التاريخ عند المسلمين من العلوم التي حازت اهتماما كبيرا ، وذلك لصلتها المباشرة بعلوم الشريعة ، خاصة السيرة النبوية وعلم الحديث ، ولذلك نجد في كتابات الأولين الأثر الواضح لمنهج المحدثين في كتابة التاريخ الإسلامي ،وإنّ المتتبع لأولى الكتابات التاريخية الإسلامية لا يجدها تخرج عن الإطار الديني ، ولعلّ من أعظم المؤرخين الذين تمكنوا من تثبيت هذا المفهوم لدى المسلمين الإمام المجتهد أبو جعفر الطبري ، فمؤلفه التاريخي الكبير لا يزال إلى اليوم مصدرا أساسيا وصرحا معرفيا تاريخيا هائلا لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال .

تتنوع وتختلف المصادر في التاريخ الإسلامي ،مما يجعل الباحث أمام صعوبات كثيرة بسبب اختلاف وجهات نظر المؤرخين وأسلوبهم ومنهجهم في كتابة التاريخ.ولذلك يتطلب الأمر جهودا كبيرة حتى يصل إلى معرفة الطرق والوسائل التي عالج بها المؤرخين المسلمين للموضوعات وللأحداث التاريخية.

ولايخامرنا الشك أن هؤلاء المؤرخين قد تناولوا مواضيعهم حسب طبيعة واقعهم الفكري المميز ،مما يجعل الباحث أمام ضرورة فهم الأحداث التاريخية وتقييمها وتفسيرها وفق واقع هؤلاء المؤرخين والوقوف على طريقة كتابتهم للتاريخ ،وهذا يستدعي الإلمام بجملة من المعلومات والمعطيات التي تحيط بالمؤلف ،بالإضافة إلى ضرورة الإطلاع على مصادر أخرى للوقوف على الحقيقة التاريخية.

ومن هذا المنطلق تسعى هذه الورقة البحثية الكشف عن بعض طرق وأساليب الكتابة التاريخية عند المؤرخين القدامى الرواد في التاريخ الإسلامي ومن ذلك منهجية الطبري في الكتابة التاريخية من خلال كتابه تاريخ الأمم والملوك.وتطلب ذلك اتباع المنهج التحليلي المبني على المقارنة والتحليل والنقد،وهذا للوصول إلى حقيقة الكتابة التاريخية عند المؤرخين الرواد وعلى رأسهم محمد بن جرير الطبري.

1-مولده:

هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري (أبو جعفر) 224-310هـ / 839-923م. ولد في قرية أمل بطبرستان وفيها تلقى دروسه الأولى ، ثم انتقل الى الري عاصمة خراسان التي واصل تعليمه بها على يد كبار شيوخها أمثال الرازي و الدولابي و ابن الولي رحل الطبري الى بغداد عاصمة الخلافة العباسية أهم عواصم الاشعاع الحضاري.[1]

و قد استقر بها مدة طويلة لازم خلالها فطاحل الرواة وعلماء التفسير ، لكن طموحه ورغبته الجامحة في تحصيل العلم قد كانت سببا في هجرته منها إلى مختلف المدن الإسلامية الهامة كالبصرة وبلاد الشام ومصر ،من أجل تحصيل المعارف على يدي علمائها وتمحيص الروايات والأخبار.[2]

قضى معظم حياته في تحصيل العلم ومناقشة العلماء . ولم يكن يسعى من وراء ذلك غير اكتشاف المعرفة وتوسيع فكرته ومداركه ،بدليل رفضه المناصب الهامة التي عرضت عليه ، حتى صار صاحب الرأي المستقبل في أكثر المسائل التي كانت مطروحة على الساحة الفكرية في عصره .[3]

ويروى أنه قضى مدة اربعين سنة في الكتابة و التأليف ، اعتمادا على الذاكرة و الحفظ في اغلب الأحيان . ولحسن الحظ فانه قد وصلتنا من مؤلفاته كتابان يعدان من أهم كتب التراث العربي الاسلامي .

2–مؤلفاته:

لقد عزز إنتاجه على الأخص، في العلوم الإسلامية،ولقد ساعده في ذلك سعة علمه وتمكنه من اللغة " ولقد مكنته فارسيته الأصيلة من أن يطلع إطلاعا واسعا على أخبار الأمم.

وفيما يلي أسماء بعض مصنفاته ومؤلفاته كما وردت في مصادر ترجمته:

–آداب المناسك – آداب النفوس –اختلاف علماء الأمصار

–البصير (أو التبصير) في علوم الدين – تهذيب الآثار وتفصيل الثابت من الأخبار – تاريخ الأمم والملوك – الجامع في القراءات

–كتاب العدد والتنزيل – لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام

–جامع البيان عن تأويل آي القرآن وغيرها كثير.

وأولهما كتاب جامع البيان في تفسير القرأن المعروف بتفسير الطبري وهو في عدة مجلدات ، تميز عن غيره بابداء الرأي ومخالفة بعض المفسرين المعاصرين له .

و ثانيها كتاب تاريخ الرسل و الملوك الذي نخصه بالحديث في هذه الدراسة ، ويعد هذا الكتاب الذي يسميه بعضهم تاريخ الأمم و الملوك من أشهر الكتب في التاريخ الاسلامي ، وأكثرها مادة وأخبار في الفترة التي غطى أحداثها هذا المؤرخ البارع ، ويقع هذا الكتاب في حوالي 10 مجلدات ضمن فيها الطبري مختلف الروايات التاريخية عن الشعوب و القبائل القديمة و المعاصرة أيضا.[4]

3– منهجه في كتابة تاريخ الملوك والرسل:

ويمكن أن نقسم مادة هذا الكتاب الضخم الى قسمين أساسيين :

القسم الأول تكلم الطبري فيه عن بدء الخليقة ومهبط ادم وقصة قابيل و أخيه هابيل ثم تحدث عن الأنبياء بتسلسل ، نوح ابراهيم ولوط و اسماعيل وأيوب وقصة شعيب ويعقوب و يوسف و اسماعيل

وغيرهم و ارخ بعد ذلك للأمم السابقة للاسلام فتحدث عن الفرس والروم وعن بني اسرائيل ، وملوك اليمن واشهر الدويلات العربية القديمة وقد اتبع في سرد تاريخ هذه الأمم أسلوب الموضوعات لم يحدد تاريخهم بالسنوات (طريقة الحوليات) ،كما هو الحال في القسم الخاص بالتاريخ الاسلامي .
وفي القسم الثاني تناول الطبري أحداث الدولة الاسلامية منذ بداية الدعوة المحمدية وحتى سنة 302هـ / 914م، ويمتاز هذا القسم عن سابقه بالتفصيل و التدقيق فضلا عن الاسناد ، وايراد مختلف الروايات عن الحدث الواحد ،وذلك لوفر المادة من جهة ، وتخصصه في الاسلاميات من جهة ثانية .[5]

4-المصادر التي اعتمد عليها:

ولا شك أن المؤرخ اعتمد على مصادر لا تزال أكثرها الى حد الأن ، في تعداد المفقودات وحسب اشارة الطبري القليلة الى من نقل عنهم – عدا الرواة .فانه يمكن ايجاز مصادره في مايلي :

- في تاريخ الفرس اعتمد على بعض كتبهم المترجمة الى العربية خاصة ترجمات الأديب الشهير ابن المقفع – الفارسي الأصل ، وكذلك من ابن هشام الكلبي وبعض المخطوطات التي كانت في عصره .
- في تاريخ بني اسرائيل اعتمد على قصصهم الواردة في التورات –كتابهم المقدس – وما جاء عنهم من اخبار في القرأن الكريم .
- في تاريخ العرب قبل الاسلام يشير الطبري الى ماكتبه كل من عبيد بن شريه و محمد بن كعب القرطي ووهب بن منيه .
- في تاريخ الدعوة الاسلامية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الزكية يستند الطبري على ما رواه عمر بن الزبير وشرحبيل بن سعد و ابن هشام الزهري وهشام وهؤلاء هم المتخصصون في سيرة النبي محمد عليه السلام .
- في تاريخ الخلفاء الراشدين يشير الطبري غالبا الى أبي مخنف و المدائني أما بالنسبة للأمويين فقد اعتمد على رواة أكفاء مثل المدائني و هشام الكلبي و أبي مخنف وفي التاريخ العباسي يستند مؤرخنا على كل من احمد بن زهير والمدائني و الراوية الكبير ابن عدي و الواقدي ، فضلا على مشاهده الشخصية في الاحداث التي عاصرها .[6]

ولذلك فان كتاب تاريخ الرسل والملوك لا يعد كتابا تاريخيا فحسب بل هو انتاج علمي وتراث حضاري لجيل القرن الأول و الثاني الهجريين ويمكن حصر وتقييم هذا الانتاج فيمايلي :

اعتمد في أول تأريخه على منهج الإسناد تماما كما هو الحال في تدوين الخبر الشرعي (حديث الرسول صلى الله عليه وسلم) والقصد من ذلك جعل خبر التاريخ على مستوى الخبر الشرعي (المصداقية

-اعتماده على المشاهدة الخاصة أي إلغاء راوي الحديث.

-الأمانة الشديدة في ذكر خبر حالة الإمام الطبري لمدى تمحيص الأخبار ونقدها وتميز صدقها وكذبها.

-ينقل الحدث التأريخي في تصور الإمام الطبري من الماضي إلى الحاضر عن طريق الرواة بالتواتر من عصر لعصر آخر.

-اعتمد الطبري على منهج الإسناد في تسلسل نقل الخبر التأريخي بالرجوع إلى الشاهد الأول دون تغير أو تعليق أو تزوير فتكون الشاهدة أساس الخبر التأريخي.

-شيد الطبري تأريخه على أساس الخبر والأخبار فرتبها حسب الأحداث وكل حدث يدعم بسند أو عدة أسانيد واتبع منهجا يدعى منهج التأريخ أي مراعاة البعد الزمني في تسجيل الحوادث والوقائع وهذا ما ورد في كتابه المشهور.[7]

- أن مادته التاريخية تعتبر من أوثق المعلومات لا يرادها بالنصوص عن أصحابها بعد انتقائها .
- اعتماده في السرد التاريخي على الروايات وحرصه على الاسناد دون نقد في الغالب حيث يقول : وانما أدينا ذلك على نحو ما أدي لنا .... كما أنه كان لا يعطي رأيا خاصا فيما يقدمه من معلومات ، باستثناء عملية انتقائه وتركيزه على بعض الروايات دون أخرى و استعماله لكلمة والصحيح عندنا .
- اشتمل تاريخه على مختلف أنواع الموضوعات التاريخية ، ذكر الخليقة وسرد أخبار ايام العرب ، ومختلف المغازي و تتبع حركات الفتح .. على نحو ما سيكون تاريخيا عالميا . ولذلك فانه يعد أول من قام بعمل تركيبي لمثل هذه الموضوعات في التاريخ العربي السلامي .
- يلاحظ أنه من خلال هذا المنهج الجديد قد حاول تحقيق الاستمرارية الحضارية و الارتباط التاريخي للأمة العربية خاصة .
- بفضل منهج الاسناد الذي طبقه الطبري بصرامة على التاريخ أعترف له بالوثوق ، ذلك أنه أراد أن يوفق الخبر التاريخي بنفس المنهج الذي كان يوثق به المحدثون الحديث النبوي الشريف.

يعد كتابه من اللبنات الأولى التي بنيت عليها أرضية التاريخ العربي الاسلامي وذلك حين تبع منهجا جديدا هو التاريخ على نظام الحلويات ابتداءا من السنة الأولى لهجرة الرسول (ص) ، وحتى تاريخ توقفه على الكتابة التاريخية وهي سنة 302هـ /914م .[8]

5-خصائص أسلوب الطبري :

ويمكن للدارس لأسلوب الطبري في كتابة التاريخ استخراج الطابع المميز لمنهج الطبري العلمي في كتابة التاريخ والتي نلخصها في مجموعة النقاط التالية:

-اتبع طريقة الإسناد في سلاسل الروايات: لذا كان تاريخه سجلا لما اثر من آثار وآراء, وغالبا ما يلخص الفكرة العامة ويعقب عليها بذكر الروايات التي قد تختلف في التفصيل والإيجاز.

-تجنب إبداء الرأي والموضوعية: وعقد فصلا في كتابه, ذكر فيه بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول بالرأي, والتزم هذا الأسلوب في كتابه.

-دقة الإسناد: كان رحمه الله أمينا دقيقا في ذكر السند وفي تسجيل أسماء الرواة, لأنه اتصل بكثير من العلماء وسمع منهم, فإذا كان قد سمع هو وغيره قال :حدثنا,وإذا قد سمع وحده قال: حدثني, وإذا نسي واحدا من سلسلة الرواية صرح بنسيان اسمه.

- الاستعانة بعلم اللغة: هذا وقد مكنه علمه باللغة وأساليب استعمالها أن يفضل معنى الكلمة على معنى آخر تحتمله.

-الإكثار من الأحاديث النبوية : وكان يكثر منها لأنه درس الحديث على كبار المحدثين في عصره, وفي مقدمتهم علماء طبرستان.

-الاستشهاد بالشعر: وكثيرا ما اعتمد على الشعر في بيان الوقائع وسردها,تارة يذكر اسم الشاعر وأخرى يغفله مكتفيا بالشعر.

-مناقشة الآراء الفقهية: للطبري كتاب اختلاف الفقهاء فهو فقهي دارس للمذاهب كلها, بل مجتهد صاحب مذهب اختاره لنفسه ومن البداهة ان يعرض للآراء الفقهية ويناقشها في مناسباتها عند ذكر وقائع الفتن والحروب التي مزقت الأمة الإسلامية في عصره, وينتهي في مناقشة كل منها إلى ما يستصوبه وكان يعرض لآراء المتكلمين ويسميهم أهل الجدل ويناقشها ويصوب الرأي السلفي الذي يدين به. الإدلاء برأيه بعد المناقشة

سمة ظاهرة في ذكره لتاريخ الطوائف والشيع التي عاصرها , فكان يرفض ويعلل لرفضه وكان يرجح ويدلل على ترجيحه وكان يؤيد ويبرهن على تأييده.[9]

6 –شهادات بعض معاصريه:

قال عنه مواطنه وكاتب سيرته عبد العزيز بن محمد الطبري "كان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون الحساب وفي الطب , وأخذ منه قسطا وافر يدل عليه كلامه في الوصايا, وكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن, وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث, وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه, وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب وكان عالما بالعبادات جامعا للعلوم, إذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها."

وقال الخطيب البغدادي: "كان أحد الأئمة العلماء يحكم بقوله, ويرجع إلى رأيه بمعرفته وفضله, وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره, وكان حافظا لكتاب الله, عارفا بالقراءات, بصيرا بالمعاني, فقيها في أحكام القرآن, عالما بالسنن وطرقها, وصحيحها وسقيمها, وناسخها ومنسوخها, عارفا بأقوال الصحابة والتابعين, ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام, ومسائل الحلال والحرام, عارفا بأيام الناس وأخبارهم, وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك, وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله."

وقال أبو حامد الاسفراييني: "لو سافر رجل إلى الصين, حتى يحصل له كتاب تفسير ابن جرير, لم يكن ذلك كثيرا."

وقال أبو علي الاهوازي:"كان الطبري عالما بالفقه والحديث والتفسير والنحو والعروض, له في جميع ذلك تصانيف فاق بها سائر المصنفين."[10]

7–تأثيراته:

وفي الحقيقة فاننا نجد أنفسنا مضطرين الى نفي ذلك ؟ حين نلاحظ أن المؤرخ يتحيز للسلطة الحاكمة – الخلافة العباسية في كثير من القضايا التي يتحدث عنها ، كما يلاحظ عليه اظهار انتقامه الشديد تجاه الثائرين ضد السلطة وخاصة العباسية ، حيث يلعنهم ويصفهم بأبشع الأوصاف .؟ خصوصا عندما يجد الروايات تؤيد هذه الفكرة وتزكي هذا الاتجاه .

ومن غير المنطق أن نعتبر سبب موقف هذا المؤرخ ضد الثائرين وتأييده للسلطة الحاكمة طموحه الى المناصب السياسية أو الى المال بدليل رفضه لها في كثير من المناسبات ، هذا من حهة ومن جهة أخرى استقلاله

الفكري في أدق فرع من فروع الشريعة الاسلامية وهو الفقه ، حيث منافسة كبيرة بينه وبين الفقهاء المقربين من السلطة العباسية .[11]

ولذلك فإن كان يهدف الطبري من هذا التفسير إلى أن الدولة العباسية هدفها جمع شمل الأمة الإسلامية وتحقيق وحدتها ،وهو الدافع الذي جعل الطبري يميل بفكره إلى السلطة.وبفضل هذه الإختيارات وهذه النظرة الحكيمة لوظيفة التاريخ في بناء الأمة نجح مشروع الطبري،واتبعه في ذلك معظم المؤرخين من بعده.[12]

وما يعكس هذا التأثير رغبة العديد من المؤرخين تتمة هذا المشروع التاريخي باستمرار هم في تتبع منهج الطبري في كتابه تاريخ الملوك والرسل،وما كتبه "عريب القرطبي" ذيلا لكتاب الرسل وصل به إلى320هـ/932م،ثم أتمه "ثابت بن سنان"إلى سنة448هـ/1056م.ومدده ابنه "محمد" إلى سنة 479هـ/1098م تحت "عنوان التواريخ" واستمر الكثيرون في كتابة الذيول ،حتى أن ابن خلدون عندما نقل عن الطبري قال:"أوردتها ملخصة من كتاب محمد بن جرير فإنه أوثق مارأيناه من ذلك وأبعد من المطاعن عن الشبه في كبار الأمة."

وتأثر العديد من الكتاب الغرب بالكتاب وأصبح من الروائع العالمية بفضل الترجمات التي تناولت العديد من أجزاءه مع بداية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي،حيث نقل مختصر عنه إلى الفارسية ،وترجم إلى الفرنسية في أربعة أجزاء على يد المستشرق "زوتنبورغ"،كما ترجم إلى اللغة التركية ونشر في ثلاثة أجزاء.[13]

خاتمة:

يعد الطبري من المؤرخين القلائل الذين تميزوا بدقة البحث والتحري،وهو صاحب منهج الإسناد ونظام الحوليات لكن ذلك لم يمنع من وجود بعض المآخذ في كتابه تاريخ الأمم والملوك ،ومن ذلك أن المغرب لم ينل عناية كبيرة في تاريخه ،مع وجود بعض الأخطاء ومنها قوله أن معاوية بن حديج كان من عمال مصر لمعاوية بن أبي سفيان وهذا جعل كل المؤرخين الذين نقلوا عنه وقعوا في هذه الأخطاء.

ويمكن اعتبار الأخبار الواردة عن المغرب تصور لنا موقف أهل المشرق من المغرب وحظه من عنايتهم.

يعد الطبري أكثر تحقيقا ممن سبقه من المؤرخين،كما دون أحداث لم يتعرض له من كان قبله،كما جمع العديد من الوقائع من الرواة في حادثة واحدة تاركا الحكم للقارئ.

- ويمكن لنا أن نخلص إلى جملة من النتائج لهذه الورقة البحثية:
- تميز الطبري عن غيره من المؤرخين في التأكد من الحادثة التاريخية من خلال الأسانيد.
- إعترافه في مقدمة كتابه بالمنهجية المتبعة وذكره لبعض العيوب في الرويات.
- إعتماده على نظام الحوليات في كتابة الأحداث حسب السنين.

- إلمامه الواسع بالعديد من العلوم واستخدامها في مؤلفاته.

يبقى الطبري من المؤرخين المميزين على مر التاريخ ويحتاج إلى دراسة أعمق في مؤلفاته ومنهجه ،والدليل على ذلك أننا مازلنا نعتمد على مؤلفاته في الكتابات الحديثة.

الهوامش :

[1] بشار قويدر،مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه،ط.1،دار الوعي،الجزائر،1993،ص47

[2] عبدالعليم عبد الرحمان خضر،المسلمون وكتابة التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1995،ص190

[3] بشار قويدر ،المرجع السابق،ص47.

[4] حسين مؤنس،فتح العرب للمغرب،ص304

[5] عبد العليم عبد الرحمان،المرجع السابق ،ص191.

[6] الطبري،تاريخ الأمم والملوك،مكتبة خياط،بيروت،(د.ت)،ج.1،ص4-5.

[7] عبد العليم عبد الرحمان،المرجع السابق،ص204.

[8] محمد الزحيلي،الإمام الطبري،ط.2،دار القلم،دمشق،سوريا،1999، ص228-229.

[9] محمد الزحيلي، المرجع السابق،ص216-231.

[10] بشار قويدر المرجع السابق،ص50-51.

[11] يسرى عبد الغني عبدالله،معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري،ط.1، دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،1991،ص114-115.

[12] محمد الزحيلي، المرجع السابق،ص216-231.

[13] بشار قويدر،المرجع السابق،ص50.

قائمة المصادر والمراجع:

1. بشار قويدر،مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه،ط.1،دار الوعي،الجزائر،1993.
2. حسين مؤنس،فتح العرب للمغرب،مؤسسة الشباب،جمهورية مصر،1990.
3. الطبري،تاريخ الأمم والملوك،مكتبة خياط،بيروت،(د.ت)،ج.1.

4. عبدالعليم عبد الرحمان خضر،المسلمون وكتابة التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1995.
5. محمد الزحيلي،الإمام الطبري،ط.2،دار القلم،دمشق،سوريا،1999.
6. يسرى عبد الغني عبدالله،معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري،ط.1، دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،1991.